Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 7:4 (1972)

حياة فيلسوف العرب الكندى

— للدكتور عبدالرحمن شاه ولى

لم يصل الينا من المؤرخين الأقدمين نص يحدد لنا تاريخ ميلاد الكندى و وفاته، فاما أنهم أهملوا ذلك ولم يذكروا شيئا فى هذا الصدد، أو أن ما كان يحدد لنا تاريخ ميلاد الكندى و وفاته قد ضاع فيما ضاع، و بذلك بقى تحديد تاريخ ميلاده و سنة وفاته أمرا مجهولا لم يعرفه المتاخرون على وجه التحديد جزما و يقينا، الا أنه من المعروف لدى الكتاب و الباحثين أنه عاش فى فترة من آخر القرن الثانى الهجرى الى وسط القرن الثالث الهجرى، وقد حاول المتاخرون محاولة جدية موفقة فى تحديد سنة ميلاده و وفاته على وجه التقريب، مستخدمين فى ذلك طريق النظر والاستدلال بالوقائع و الحوادث التى حدثت فى عصره أو فى حياته الشخصية، و التى سجلها السابقون من المؤرخين فى اسفارهم : فقال الأستاذ مصطفى عبدالرازق : ''تاريخ ميلاد الكندى غير معروف الا ظنا، و قد أشرنا فيما مضى الى أن الراجح أن ميلاده كان فى أواخر حياة أبيه الذى توفى فى زمن الرشيد، والرشيد توفى سنة ١٩٢ﻫ — ٨٠٨م فالغالب أن الكندى ولد فى مطلع القرن التاسع الميلادى حوالى ٨٠١م — ١٨٥ﻫ كما رجحه ديبور-

و لما كان يعقوب بن اسحاق الكندى قد توفى فى أوساط القرن الثالث الهجرى — كما سيأتى تحقيقه — ولم يكن أحد ممن ترجموا له أشار الى أنه من المعمرين ، فمن الراجح أنه ولد فى عواقب عمر أبيه، و أن أباه تركه طفلا، فنشأ

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

فى الكوفة فى أعقاب تراث من السؤدد ومن الغنى، وحضن اليتم، وظل الجاه الزائل ،،(١)

أما سنة وفاته فقد تعددت الأقوال فى تحديد تاريخ وفاته من سبيل الاستنباط، فمن المحدثين من جعل وفاته سنة ٢٤٦هـ — ٨٦٠م كالأستاذ مسينون فى نصوصه الصوفية، و منهم من جعله نحو ٢٦٠هـ — ٨٧٣م كالأستاذ نالينو فى محاضراته فى الفلك و تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى : ''و يقول ديبور فى دائرة المعارف الاسلامية : ان الكندى كان يعيش سنة ٢٥٧هـ — ٨٧٠م حيث اعتقد أنه يستطيع أن يؤكد للخلافة العباسية، وهى يومئذ مهددة بالقراسطة، بقاء يدوم حوالى ٤٥٠ عاما ـ ،، وهذا مما يعارض رأى الأستاذ مسينون، كما يباعد رأيه ما جاء فى الفهرس أن الكندى نسخ كتابا بخط يده سنة ٢٤٩هـ رآه ابن نديم ـ ويخالفه أيضا ما جاء فى تاريخ الطبرى عند الكلام على موت المنتصر بالله سنة ٢٤٨هـ و التشاور فى تعيين خلفه : أن محمد بن موسى المنجم سعى فى دفع الخلافة عن أحمد بن المعتصم لأنه صاحب الكندى الفيلسوف ـ

أما رأى الأستاذ نالينو فيعارضه ما ذكره الجاحظ — المتوفى سنة ٢٥٥هـ — عن الكندى فى كتابيه ''الحيوان،، و ''البخلاء،، فى صيغة الماضى الدالة على أن الكندى كان ميتا حين كتب كتابه ـ ''و كتاب البخلاء مؤلف على الراجح سنة ٢٥٤هـ و كتاب الحيوان سابق عليه ـ فالكندى لم يكن حيا فى هذه السنة ـ و تدل رسالة الكندى فى ملك العرب و كميته على أنه شهد عهد الخليفة المستعين و شهد الفتنة التى قتل فى أعقابها المستعين آخر رمضان سنة ٢٥٢هـ،، وبناء على كل ما ذكر نا فى هذا الصدد يرجح الأستاذ مصطفى عبدالرازق أن الكندى توفى

---

(١) فيلسوف العرب والمعلم الثانى ص ١٨ ـ

فى أواخر سنة ٢٥٢هـ -(١) فقد ولد الكندى سنة ١٨٥هـ وتوفى سنة ٢٥٢هـ حسب هذا التحقيق - و يتفق الدكتور محمد عبدالهادى أبو ريدة مع الاستاذ مصطفى عبدالرازق فى تحديد سنة وفاة الكندى فى مقدمته لرسائل الكندى ، ويستدل على ذلك بما استدل به الأستاذ مصطفى عبدالرزاق من كلام الطبرى، ومما يذكره الكندى فى رسالته فى ملك العرب،(٢) ومما يذكره ابن نديم - ويرد على نلسينو و بروكلمان لقولهما بوفاته بعد سنة ٢٥٢هـ -(٣) و لكنه رغم اثباته حياة الكندى فى مقدمته لرسائل الكندى الى سنة ٢٥٢هـ — يقول فى رسالته (النصوص الفلسفية) ما نصه : " الكندى أول فلاسفة الاسلام، وقد توفى حوالى سنة ٢٥٠هـ(٤)، وقد يتعارض هذا مع قوله السابق ذكره، لأنه اذا أثبت أن حياته امتدت الى سنة ٢٥٢هـ دون أن يعرف بعد ذلك تاريخ وفاته باليقين — فكان أولى به أن يقول : وقد توفى حوالى سنة ٢٥٢هـ، لأن وفاته قبل ذلك غير محتمل - أما تاخير وفاته عن ٢٥٢هـ فمحتمل، بل و تؤيد ذلك الروايات التى تحدد وفاته بعد سنة ٢٥٢هـ - و عدم استناد تلك الروايات الى دليل، لا يدل على كذبها جزما، لأنه من الممكن أن يكون أصحاب هذه الروايات قد سمعوها أو وجدوها فى كتب السابقين -

وأما تاريخ ميلاده فيرجح الدكتور محمد عبدالهادى أبو ريدة تقديمه على عام ١٨٥هـ مبرهنا بان الكندى كان عظيم المنزلة عند المامون (الذى حكم من ١٩٨هـ — ٢١٨هـ)، وهذا مما يبرر تقديم ميلاده الى ما قبل عام ١٨٥هـ لكى يتيسر له الوقت الكافى للنبوغ فى الفلسفة -(٥) وهو مع ذلك يثبت حياته

---

(١) فيلسوف العرب والمعلم الثانى ، ص ٥٠ - ٥١ -
(٢) مقدمة الرسائل، ص ٥ -
(٣) نفس المصدر، ص ٥ - ٦ -
(٤) النصوص الفلسفية، ص ٥٩ -
(٥) مقدمة الرسائل، ص ٥ -

الى سنة ٢٥٢هـ، كما مر بنا، وهذا يخالف ما أشار اليه الأستاذ مصطفى عبدالرازق فى عبارته السابقة من أن تقديم تاريخ ميلاده الى ما قبل ١٨٥هـ — مع التسليم بحياته الى ٢٥٢هـ — يخرج عمره عن السن الطبيعى لهذه الأمة، لأن ''أعمار هذه الملة مابين الستين الى سبعين كما فى الحديث (١) '' ولا يكفى تقديم ميلاده سنة أو سنتين لتحقيق ما يصبو اليه الدكتور أبو ريدة، و بذلك يعتبر الكندى من المعمرين، فكان ينبغى أن يشير الى ذلك أحد المؤرخين، ولكنه لم يحصل هذا فى التاريخ -

ولكننا نعتبر هذا الدليل من الأستاذ مصطفى عبدالرازق فى غاية الضعف، لأن خروج عمر أحد عن هذا السن الطبيعى للملة الاسلامية لا يعتبر حدثا عظيما حتى يفرض على المؤرخين ذكره صراحة أو اشارة، لأن ذلك ليس من النوادر والعجائب فى التاريخ الاسلامى، بل لذلك أمثال وشواهد لا تعد و لا تحصى -

أما استدلال الدكتور محمد عبدالهادى أبو ريدة على تقديم ميلاده الى ما قبل ١٨٥هـ، فله قوة ظاهرة حيث أن الكندى دعاه المأمون بعد أن ذاع صيته و اشتهر نبوغه لينضم الى حلقة العلماء والفلاسفة والمترجمين ، و يستبعد أن يظهر نبوغه وأن يتعلم اللغات و يبرز فى الأدب فى مثل هذا العمر القليل - و هذا سبرر قوى لتقديم تاريخ ميلاده الى ما قبل ١٨٥هـ، أما القول القوى فى سنة وفاته فهو قول الأستاذ مصطفى عبدالرازق من أنه قد توفى سنة ٢٥٢هـ -

وروى أبو معشر فى علة وفاته فقال : ''وكانت علة يعقوب بن اسحاق أنه كان فى ركبته خام، وكان يشرب له الشراب العتيق فيصلح، فتاب من الشراب،

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٨٥ -

وشرب شراب العسل، فلم تتفتح له أفواه العروق، ولم يصل الى أعماق البدن و أسافله شئ من حرارته، فقوى الخام ، فاوجع العصب وجعا شديدا حتى تأتى ذلك الوجع الى الرأس والدماغ، فمات الرجل لأن الأعصاب أصلها من الدماغ -(١) و هذه الرواية تدل على مدى تدينه ، و اختلاف آخر حياته عن أولها.

نسبه

نذكر هنا نسب الكندى وحال بنى كندة و مقامهم من العظمة والجاه والجلال فى الجاهلية، ثم فى الاسلام - وبعد ذلك سناتى بسيرة الكندى الشخصية - فقد ذكر ابن أبى أصيبعة نسبه حسب ما يلى : ''يعقوب بن اسحاق الكندى، فيلسوف العرب و أحد أبناء ملوكها - وهو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح ابن عمران بن اسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدى كرب بن معاوية بن جبلة بن عدى بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن الحرث الأصغر بن معاوية بن الحرث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندة بن عفير بن عدى بن الحرث بن مرة بن أود بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان -

وكان أبوه اسحاق بن الصباح أميرا على الكوفة للمهدى والرشيد، وكان الاشعث بن قيس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم - وكان قبل ذلك ملكا على جميع كندة، وكان أبوه قيس بن معدى كرب ملكا على جميع كندة أيضا، عظيم الشأن، وهو الذى مدحه الأعشى — أعشى بن قيس بن ثعلبة — بقصائده الأربع الطوال -''(٢)

---

(١) فيلسوف العرب والمعلم الثانى، ص ٥٠ -

(٢) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ، ص ٣٠٦ -

و يذكر لنا الصاعد في مجد آبائه وملكهم على أقطار متعددة — الرواية التالية : '' كان أبوه معديكرب بن معاوية ملكا على بني الحرث الأصغر بن معاوية في (حضرموت) ،وكان أبوه معاوية بن جبلة ملكا بحضرموت أيضا على بني الحرث الأصغر، وكان معاوية بن الحرث الأكبر وأبو ثور ملوكا على معد (بالمشقر) و (اليمامة) و (البحرين) -،،(١)

تبين لنا أن فيلسوفنا ينتسب الى قبيلة ''كندة،، المشهورة برجالها على مر العصور، وكندة من بني كهلان، وموطنهم اليمن، وكان لكندة ملك بالحجاز واليمن - ''وقبيلة كندة من قبائل القحطانية وأصلها في بلاد اليمن، ولكن بطونا منها نزحت في مناسبات مختلفة الى أمصار أخرى، فصارت ذات فروع وأصول لتلك الفروع في العراق والشام و مصر والاندلس،، -(٢)

و قد مدح نصيب الأصغرأب فيلسوفنا بالأبيات التالية :

كأن ابن صباح و كندة حوله اذا ما بدا بدر توسط أنجما
على أن في البدر المحاق وأنه تمام فما يزداد الا تتمما
نرى المنبر الشرقي يهتز تحته اذا ما علا أعواده وتكلما
فانت ابن خير الناس الا نبوة ومن قبلها كنت السنام المقدما(٣)

وفي الأغاني قال أبو عبيدة : ''حدثني أبو عمرو بن العلاء أن العرب كانت تعد البيوتات المشهورة بالكبر والشرف من القبائل بعد بيت هاشم بن عبد مناف في قريش ثلاثة بيوت، و منهم من يقول أربعة : بيت آل حذيفة بن بدر الفزاري

---

(١) طبقات الأمم للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي، ص ٨١ -
(٢) الكندي فيلسوف العرب، ص ٢٢، للأستاذ محمد كاظم الطريحي -
(٣) نفس المصدر ص ٢٦ -

و بيت قيس، و بيت آل زرارة بن عدس الدارميين، و بيت آل ذى الجدين بن عبدالله ابن همام بيت الشيبان، و بيت بنى الديان من بنى الحارث بن كعب بيت اليمن ـ

وأما ''كندة،، فلا يعدون من أهل البيوتات، انما كانوا ملوكا ـ وقال الكلبى : قال كسرى للنعمان : هل فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال : نعم ـ قال : من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، ثم اتصل ذلك بكمال الرابع والبيت من قبيلة فيه ـ قال : فاطلب لى ذلك ـ فطلبه فلم يصبه الا فى آل حذيفة ابن بدر بيت قيس بن عيلان، و آل حاجب بن زرارة بيت تميم، و آل ذى الجدين بيت شيبان، و آل الأشعث بن قيس بيت كندة ـ قال : فجميع هؤلاء الرهط و من تبعهم من عشائرهم فاقعد لهم الحكام العدول ، فاقبل من كل قوم منهم شاعر، وقال لهم : ليتكرم كل رجل منكم بمآثر قومه وفعالهم، وليقل شاعرهم فيصدق، فقام حذيفة بن بدر ،وكان أسن القوم وأجرأهم مقدما، فقال . . . ثم قام الأشعث ابن قيس، وانما آذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرابته بالنعمان، فقال : لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر، و قديم زحفها الأكبر، و انا غياث اللزيات ـ فقالوا : لم يا أخا كندة ؟ قال : لأنا ورثنا ملك كندة، فاستظللنا بافيائه، و تقلدنا منكبه الأعظم، وتوسطنا بحبوحة الأكرم ـ ثم قام شاعرهم فقال :

اذا قست أبيات الرجال ببيتنا وجدت له فخرا على من يفاخر
فمن قال كلا و أتانا بخطه ينافرنا يوما فنحن نخاطر
تعالوا نعد و يعلم الناس أينا له الفضل فيما أورثته الأكابر

ثم قام بسطام بن قيس فقال . . ثم قام حاجب بن زرارة فقال . . ثم قام قيس بن عاصم فقال . . فلما سمع كسرى ذلك منهم قال : ليس منهم الا سيد يصلح لموضعه ـ

و فى كتاب المعارف لابن قتيبة — عند الكلام على أديان الجاهلية : و كانت اليهودية فى حمير، و بنى كنانة، و بنى الحارث بن كعب و كندة - هذه سيرة يعقوب الكندى فى الجاهلية -،،(١)

أما نسبه فى الاسلام فهو: أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح بن عمران بن اسماعيل بن محمد بن أشعث بن قيس -

و قد بقى لكندة مجدها فى الاسلام : فمن كندة من كان له ذكر فى الفتوح والثورات، ومنهم من ولى الولايات، ومنهم من تقلد القضاء - قال ابن دريد فى كتاب الاشتقاق : ولى القضاء من كندة بالكوفة أربعة : جبر بن القشعم، ثم شريح، ثم عمرو بن أبى قره ثم حسين بن حسن الحجرى، ولاه خالد بن عبدالله القسرى -

ومنهم الشعراء كجعفر بن عفا المكفوف، شاعر الشيعة، و عزام بن المنذر من المعمرين، وهو الذى يقول فى شعره :

و والله ما أدرى أ أدركت أمة ... على عهد ذى القرنين أو كنت أقدما

متى تنزعا عنى القميص تبينا ... جناجن لم يكسين لحما ولا دما

و أول من أسلم من آباء الكندى الأشعث بن قيس - قال ابن أثير الجزرى : ''وفد الى النبى (ص) سنة عشر من الهجرة فى وفد من كندة ، وكانوا ستين راكبا فاسلموا . . وكان الأشعث ممن ارتد بعد النبى، فسير أبو بكر الجنود الى اليمن فاخذوا الأشعث أسيرا فاحضر بين يديه فقال له : استبقنى لحربك وزوجنى باختك، فاطلقه أبو بكر وزوجه بأخته — وهى أم محمد بن الأشعث، ولما تزوجها اخترط سيفه و دخل سوق الابل، فجعل لايرى جملا ولا ناقة الا عرقبه، و صاح

---

(١) فيلسوف العرب للأستاذ مصطفى عبدالرزاق، ص ٧ - ٩

الناس : كفر الأشعث ـ فلما فرغ طرح سيفه وقال : انى والله ما كفرت، ولكن زوجنى هذا الرجل أخته، و لو كنا ببلادنا لكانت لنا وليمة غير هذه ـ يا أهل المدينة انحروا و كلوا، و يا أصحاب الابل خذوا أثمانها، فما رئى وليمة مثلها ـ وشهد الأشعث اليرموك بالشام ففقئت عينه، ثم ثار الى العراق فشهد القادسية، والمدائن، وجلولا، ونهاوند، و سكن الكوفة، وابتنى بها دارا و شهد صفين مع على، وكان ممن ألزم عليا بالتحكيم، و شهد الحسين بدومة الجندل، وكان عثمان رضى الله عنه استعمله على أذربيجان، وكان الحسن بن على تزوج بنته، فقيل هى التى سقت الحسن السم فمات، وتوفى، سنة اثنتين وأربعين، وقيل سنة أربعين ـ،،(١)

وكان يعقوب الكندى من أولاد أخت أبى بكر الصديق لأن محمد جده الرابع قد أنجبه الأ شعث من فروة أخت أبى بكر رضى الله عنه ـ

ولما كان بنو الأشعث من سلالة الملك، فقد شغلوا المناصب الهامة أيام الأمويين والعباسيين، وظلوا يتدخلون فى السياسة، ولعل ذلك كان لأملهم فى ارجاع الجاه الزائل والملك القديم فقد كان الأشعث عامل أذربيجان أيام عثمان ابن عفان، وانضم محمد بن الأشعث الى ابن الزبير و حزبه أيام يزيد بن معاوية بعد ما ضعفت الدولة الأموية بقتل يزيد الحسين بن على رضى الله عنهما، وبايع المختار ولكن من غير اخلاص له، فلما ولى مصعب بن عبدالله بن الزبير انضم اليه ـ وحينما اشتبك المختار و مصعب — فقتل محمد فى ذلك سنة سبع و ستين هجرية ـ وكذلك عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث لعب دورا كبيرا فى السياسة فقد خرج على الحجاج، و خاصم عبدالملك بن مروان، وقد مات بعد أن ألقى نفسه

---

(١) فيلسوف العرب والمعلم الثانى، ص ٩ - ١١ -

من سطح القصر حسب بعض الروايات ـ(١)

ولما ولى العباسيون الحكم استرجع بنو الأشعث شيئا من جاههم الزائل، وتقلدوا المناصب الكبيرة فى الدولة ـ فقد كان أبو الكندى اسحاق بن الصباح واليا على الكوفة فى عهد المهدى والهادى الى عهد الرشيد بين سنة ١٧٠ ـ ١٩٣، وقد مات فى آخر أيام الرشيد كما سلف ـ

وأما يعقوب الكندى فلم يتقلد منصبا حكوميا، الا أنه كان ذا منزلة عند المأمون، وقريبا من المعتصم بالله لأنه كان مربيا لابنه أحمد بن المعتصم ـ وكسب الكندى بعلمه و فلسفته ونبوغه مكانة مرموقة لدى الخلفاء، وكان يحسده على ذلك كما هى سنة الله فى أهل النعم — يحسدون ممن لم ينالوا مثل حظهم ـ وقد خلد علمه ونبوغه اسم أسرته وآبائه فى التاريخ ـ

وقد انقطعت صلة بنى الأشعث بالخلفاء منذ خروج عبدالرحمان بن محمد بن الأشعث على الحجاج و عبدالملك بن مروان، ولكن رغم ذلك ظل بيت الكندى وأسرته فى الكوفة فى المجد والحسب الشامخ ـ و بعد أن تولى العباسيون الخلافة — عاد بيت الكندى الى الظهور فى ميدان السياسة والحكم : فقد ولى اسحاق بن الصباح الكوفة فى العصر الزاهر العباسى أيام المهدى والرشيد ـ

''واسحاق بن الصباح الكندى الأشعثى مذكور فى كتب رجال الحديث على أنه ضعيف مقل من الطبقة السابعة، أى أنه عاش فى المائة الثانية من الهجرة ـ أما كتب التاريخ والأدب فتذكر كثيرا من أخبار ولايته و عزله وجاهه وكرمه وصلته بالشعراء والعلماء ومظاهر غناه ونبله وأخذه باسباب الترف والنعيم ـ

---

(١) فيلسوف العرب والمعلم الثانى، ص ١١ ـ ١٢ ـ

وقال ابن سعد : كان اسحاق بن الصباح الأشعثى صديقا لنصيب، وقدم قدمة من الحجاز، فدخل على اسحاق وهو يهب لجماعة وردوا عليه برا وتمرا، فيحملونه على ابلهم ويمضون، فوهب نصيب جارية حسناء يقال لها مسرورة، فاردفها خلفه ومضى وهو يقول :

اذا احتقبوا برا فانت حقيبتى ... من الشرفيات الثقال الحقائب
ظفرت بها من أشعثى مهذب ... أغر طويل الباع جم المواهب
فداك يا اسحاق كل مبخل ... ضجور اذا عضت شداد النوائب
اذا ما بخيل المال غيب ماله ... فمالك عد، حاضر ، غير غائب

وقال فيه أيضا :

فتى من بنى الصباح يهتز للندى ... كما اهتز مسنون الفرار عتيق
فتى لا يذم الضيف والجار رفده ... ولا يحتويه صاحب و رفيق
أغر لأبناء السبيل موارد ... الى بيته تهديهم و طريق
وان عد أنساب الملوك وجدته ... الى نسب يعلوهم و يفوق
فما فى بنى الصباح وان بعد المدى ... على الناس الا سابق و عريق
وانى لمن شاحنتم لمشاحن ... وانى لمن صادقتم لصديق(١)

وقد ولد الكندى فى هذا البيت الثرى، الشهير بالغنى والترف، والذى كان موضعا لمديح الشعراء، و مقصدا للفقراء وأبناء السبيل، ولذلك لقب بفيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها، كما اشتهر بانه أول فلاسفة الاسلام ـ

---

(١) فيلسوف العرب والمعلم الثانى، ص ١٣ - ١٤ ـ

فيلسوف العرب أم فيلسوف الاسلام ؟

يذكر لنا صاعد أنه ''لم يكن فى الاسلام من اشتهر عند الناس بعلوم الفلسفة حتى سموه فيلسوفا غير يعقوب،،(١) ولم يذكر لنا التاريخ من يكون نظيرا له فى ذلك العصر فى الاشتغال بالعلوم الفلسفية فى البيئة العربية فاذن تفوقه و نبوغه فى عصره بحيث لم يوجد له مثيل فى الاشتغال بالعلوم الفلسفية والتعمق فيها فى البيئة العربية و الاسلامية — هو الباعث على أن يسمى بفيلسوف العرب تارة، و بفيلسوف الاسلام تارة أخرى -

و يبدو أنه لوكان له نظير فى الاشتغال بالفلسفة فى ذلك العصر من المسلمين لما سمى بفيلسوف الاسلام، ولو كان له مثيل فى التعمق فى العلوم الفلسفية من العرب فى ذلك العصر لما سمى بفيلسوف العرب أيضا - فتسميته بفيلسوف العرب تظهر تفوقه فى نطاق العروبة، وتسميته بفيلسوف الاسلام تنبئى عن نبوغه فى نطاق أوسع وهو نطاق الاسلام - وقد أثار الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى مشكلة التضارب بين كون الكندى فيلسوف الاسلام و فيلسوف العرب، و ذكر أقوال الفريقين من المؤرخين الذين نسبه بعضهم الى الاسلام، ونسبه البعض الاخر الى العرب - واتهم الدكتور الأهوانى صاحب نزهة الأرواح (الشهزورى) بالتعصب لقومه الفرس ضد العرب حينما نسب فيلسوفنا الى الاسلام، لأن ذلك يعنى نفى عروبته لما بينهما من التباين فى نظره - يقول : ''فيلسوف العرب أم فيلسوف الاسلام ؟ قضية اختلف القدماء فى شأنها عند اختيار اللقب الذى ينعتون به يعقوب الكندى، فسماه بعضهم فيلسوف العرب، و أطلق عليه البعض الاخر فيلسوف

---

(١) طبقات الأمم، ص ٨١ لصاعد -

الاسلام -،،(١)

و لايضاح الاختلاف والتناقض بين أقوال المؤرخين فى هذا الصدد يقول : ''وانما وقع هذا التباين لأن دائرة العروبة لا تطابق تمام المطابقة دائرة الاسلام -،،(٢)

ومن الواضح جدا أن دائرة العروبة — اذ لاتطابق تمام التطابق دائرة الاسلام، فانها لا تتباين منها كل التباين أيضا — وليس بين الدائرتين تباين كلى حتى يلزم من دخول أحد فى احداهما خروجه من الأخرى، و ذلك لعدم وجود علاقة التضاد بين العروبة والاسلام، بل ان النسبة بينهما من النسب الأربعة عند المناطقة هى نسبة العموم والخصوص من وجه، فبينهما تباين، ولكن ليس هذا التباين تباينا كليا كما زعم الدكتور الأهوانى، بل انه تباين جزئى : فلا يلزم من اسلام شخص نفى عروبته . . فاذن لاتعارض فى أقوال المؤرخين اذا لقبه بعضهم بفيلسوف العرب، و لقبه آخرون بفيلسوف الاسلام . . لأنه مسلم عربى ،ولكل وجهة هو موليها -

قال تعالى : ''قل ان صلاتى و نسكى ومحياى ومماتى لله رب العلمين لا شريك له، و بذلك أمرت وأنا أول المسلمين -،،(٣) لا ريب فى عروبة محمد(ص)، وهو بكونه أول المسلمين — حسب هذا القول الالهى — لا يخرج عن عروبته - كما أن القرآن بهذا القول لا يتعصب ضد العرب - فكذلك وصف الكندى بفيلسوف الاسلام لا يعنى اخراجه من دائرة العروبة، وبالتالى لا يدل على التعصب ضد العرب - فاذن ما قال الدكتور الأهوانى : ،، ونود قبل أن ننظر الى الكندى فى

---

(١) الكندى، ص ١ فى سلسلة أعلام العرب رقم (٢٦) -

(٢) نفس المصدر -

(٣) سورة ٦، آية ١٦٢ ، ١٦٣ -

ضوء العصر الحاضر أن نثبت رأى مؤرخ اعتبر فيلسوفنا اسلاميا لا عربيا ، فقال : ''أول من تبحر من المسلمين فى الفلسفة وسائر أجزائها من المنطق والطبيعيات والرياضيات والالهيات ، مع تبحره فى علوم العرب ، وبراعته فى الاداب من النحو والشعر، وكان يعرف الطب والنجوم وأحكامها و ضروبا من الصناعات والمعارف التى قل أن تجتمع فى انسان واحد، و فهرسة كتبه يزيد على '' دستكاغذ،،(١) يكون فى غير موضعه ، لأنه لا يوجد فى كلام الشهزورى ما ينفى عروبته لما قلنا سابقا من عدم التضاد بين الاسلام والعروبة ـ

و علق الدكتور الأهوانى على هذا النص بقوله : ''و،، كاغذ،، بالفارسية يعنى الورق، و ''دست،، هى اللفظة التى درجت فى اللغة العامية بقولنا ''دستة،، أى اثنا عشر ـ ولا غرابة أن يستخدم الشهزورى هذه الألفاظ الفارسية لأنه فارسى متعصب لقوميته ، و هذه العلة التى جعلته يؤثر أن يجعل الكندى أول فلاسفة الاسلام ـ،،(٢)

هكذا يرمى الدكتور الأهوانى الشهزورى بالتعصب ضد العرب حينما نسب فيلسوف العرب الى الاسلام تعصبا للفرس ـ ولكننا نقول : ماذا تفيد الفرس نسبته الى الاسلام . هل الاسلام دين فارسى ؟

وثانيا : اذا قال الشهزورى أنه من أول فلاسفة الاسلام، فقد نسب الى الاسلام كثيرا من فلاسفة الفرس أيضا مثل ابن سينا والفارابى و غيرهما ـ والاسلام ليس دينا فارسيا، وبالتالى يستوى فيه الفرس و العرب ـ فما الذى أوهم الدكتور

---

(١) الكندى، ص ١١ ـ ١٢ فى سلسلة أعلام العرب رقم (٢٦) ـ

(٢) نفس المرجع، ص ١٢ ـ

الأهوانى التعصب من الشهزورى بوصفه الكندى بانه أول فلاسفة الاسلام ؟ ولو قال الشهزورى بدلا عما قال : هو أول من تبحر من العرب فى الفلسفة . . الخ لما أدى ذلك القول الى المعنى الذى كان يريد ابرازه، لأنه يريد اظهار تفوق الكندى على جميع المتبحرين من المسلمين كافة لا على العرب فقط، فاذن هو مضطر الى هذا التعبير، فلم يقل ذلك تعصبا، ويبدو هذا المعنى من عبارة صاعد المذكورة سابقا، وهو لم يكن فارسيا.

و ثالثا : أن الشهزورى يصف فيلسوف العرب ومعارفه بانه قل أن يجتمع مثلها فى انسان واحد كما مر من قوله - وهذا يدل على سعة صدره و مدى تقديره لفيلسوف العرب وعلومه -

أما استعماله الكلمات الفارسية فى العربية، فهذا أيضا لا يدل على تعصبه ضد العرب والعروبة، لأنه ليس أول من فعل ذلك، بل ان الألفاظ الفارسية دخلت فى العربية منذ عصر اختلاط الفرس بالعرب - وكان الفرس يعتزون بذلك - يقول الجاحظ : ''ألاترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس فى قديم الدهر علقوا بالفاظ من ألفاظهم، ولذلك يسمون البطيخ الخربز - وكذ أهل الكوفة فانهم يسمون المسحاة ''بال،، ، و ''بال،، بالفارسية - وأهل البصرة اذا التقت أربعة طرق يسمونها مربعة و يسميها أهل الكوفة : بالجهارسو - والجهارسو فارسية . . الخ -''(١)

و روى الصولى : ''ناظر فارسى عربيا بين يدى يحى بن خالد البرمكى فقال الفارسى : ما احتجنا اليكم قط فى عمل ولا تسمية، ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا

---

(١) البيان والتبيين، ج ١، ص ١٠٧ -

فى أعمالكم ولا لغتكم، حتى ان طبيخكم و أشربتكم و دواوينكم وما فيها على ما سمينا، ما غيرتموه ، كالأسفيداج، والكباج، والدوغباج، وأمثاله كثيرة، وكالسكنجبين والخلنجبين والجلاب وأمثاله كثيرة، وكالروزنامج و الاسكدار والقراونك وان كان روميا ومثله كثير ـ فسكت عنه العربى، فقال له يحى بن خالد : قل له : اصبرلنا نملك كما ملكتم ألف سنة بعد ألف سنة كانت قبلها لا نحتاج اليكم ولا الى شئ كان لكم ـ،،(١)

هكذا قال يحى بن خالد فى جواب الفارسى، ولكننا نرى بعد ألف سنة وأكثر أن الدكتور الأهوانى لا يجد كلمة عربية فى مقابل ''دستة،، ، ولذلك يفسرها بعدد ''اثنا عشر،، ، مع أن معناها (DOZEN) و دزينة فى العربى ـ و على كل حال لا تعارض بين أقوال المؤرخين حينما لقبه بعضهم بفيلسوف العرب والاخرون بفيلسوف الاسلام، لأنه مسلم عربى ـ و الى هذا التوافق بين اللقبين أشار الأستاذ الأكبر مصطفى عبد الرازق بقوله : الكندى هو فيلسوف العرب كما فى كتاب أخبار الحكماء، و فى كتاب طبقات الأمم ''ولم يكن فى الاسلام من اشتهر عند الناس بمعاناة علوم الفلسفة حتى سموه فيلسوفا غير يعقوب هذا ـ،، و فى الفهرست ''وسمى،، فيلسوف العرب،، ويقول ابن نباتة : ''الكندى هو يعقوب بن صباح المسمى فى وقته فيلسوف الاسلام ـ،،

''والكندى كان جديرا بهذه التسمية فى وقته، وسيظل بها جديرا، فانه أول عربى مسلم مهد للفلسفة سبيل الانتشار بين العرب و فى ظل الاسلام ـ،، (٢)

لكن الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى يعلق على هذا النص بقوله : ''و يبدو أن

---

(١) أدب الكاتب للصولى، ١٩٣٠ ـ

(٢) فيلسوف العرب والمعلم الثانى، ص ٤٨ ـ

الأستاذ مصطفى عبدالرازق كان فى الواقع مضطربا فى ترجيح أى الوصفين، ولو أنه كان يميل الى القول بأنه فيلسوف العرب، فقد بدأ العبارة بانه فيلسوف العرب كما جاء عند القفطى وابن أبى اصيبعة، ثم نقل رأى ابن نباتة من أنه فيلسوف الاسلام - وعقب على هذا كله و بعد ذلك بانه : '' كان جديرا بهذه التسمية،، ، فاى تسمية لعمرى يقصد، العرب أم الاسلام ؟،،

والحق أن الأستاذ مصطفى عبدالرازق لم يكن مضطربا، ولا يظهر الاضطراب من عبارته، بل هو بصدد ازالة الاضطراب ان اضطرب أحد من أقوال المؤرخين فى تلقيبه بفيلسوف العرب عند البعض، و فيلسوف الاسلام عند الاخرين - فبين أنه كان مسلما عربيا، و بذلك هو فيلسوف العرب والاسلام على السواء - و فى العبارة السابقة للدكتور الأهوانى تناقض، و ذلك لأنه قال أولا باضطراب الأستاذ مصطفى عبدالرازق، ثم قال بميله الى اختيار لقب فيلسوف العرب للكندى - فاذا مال الى أحد الجانبين فاذا لا اضطراب -

ثم تحير الدكتور الأهوانى فى تعيين المشار اليه لكلمة ''هذه،، فى قوله ''و هو جدير بهذه التسمية،، ، فقال : '' أى تسمية لعمرى يقصد، العرب أم الاسلام ؟،، ولو طبق القانون العربى على هذا الكلام العربى لاتضحت له التسمية المشار اليها بـ ''هذه،، لأن الاشارة بهذه الكلمة تكون الى القريب(١)، و القريب فى الكلام السابق عليها هو الاسلام -

ولكن هذا يخالف ما قال الأهوانى من أنه يميل الى العرب دون أن يقدم على ذلك دليلا من كلامه - و الواقع أن الأستاذ مصطفى عبدالرازق يشير

---

(١) انظر شرح ابن عقيل، ص ٢١ -

بـ'' هذه ،، الى كل من فيلسوف العرب والاسلام، لا الى أحدهما، و يجعله جديرا بلقب فيلسوف العرب والاسلام، لأنه كان أول مسلم عربى أظهر نبوغه فى ميدان الفلسفة ـ

ويرى الدكتور الأهوانى الاضطراب عند ابن حجر أيضا فيقول : ''قلنا فى ابتداء هذا الحديث أن القدماء اضطربوا فى وصفه أهو فيلسوف العرب أم فيلسوف الاسلام — حتى اذا كنا فى القرن التاسع الهجرى ، نجد ابن حجر يضطرب كذلك، فيترجم له مرتين فى موضع متقارب جدا، وكانه يترجم لشخصين مختلفين : ففى لسان الميزان — الجزء السادس صفحة ٣٠٥ الترجمة رقم ١٠٩١ يقول ابن حجر عنه : ''يعقوب بن اسحاق بن الصباح بن عمران بن اسماعيل بن محمد بن الأشعث الكندى فيلسوف العرب، يكنى أبا يوسف ـ ''و فى صفحة ٣٠٧ الترجمة رقم ١١٠٢ يقول عنه ''يعقوب بن الصباح بن الأشعث الكندى فيلسوف الاسلام ـ ''و يبدو أن ابن حجر قد خيل اليه أن فيلسوف العرب شئ و فيلسوف الاسلام شئ آخر، وذلك على الرغم من أنه أورد اسمه واسم آبائه وأجداده كاملا، مما كان ينبغى أن يفطن معه الى أن الرجل واحد ـ،،(١)

والحق أن بن حجر لم يكن غبيا إلى حد أن يفكر فى التعارض بين فيلسوف العرب و فيلسوف الاسلام، وبذلك يجعل الشخص الواحد شخصين ثم يترجم له مرتين على هذا الأساس الباطل ـ وقد راجع ابن حجر فى ترجمة الكندى الفهرست لابن النديم — بدليل قوله فى ترجمة الكندى رقم ١١٠٢ : ''وقد سرد ابن النديم فى الفهرست فبلغت مائتى . . الخ ـ،،(٢) وابن النديم يقول عنه : ''فاضل

---

(١) الكندى فى سلسلة أعلام العرب، ص ١٠ ـ

(٢) لسان الميزان لابن حجر، ص ٣٠٧ ـ

دهره و واحد عصره فی معرفة العلوم القدیمة بأسرها و یسمی فیلسوف العرب ـ،،(١) ومع ذلك یسمیه ابن حجر فی ترجمة رقم ١١٠٢ فیلسوف الاسلام، وهذا یدل علی أن فیلسوف العرب و فیلسوف الاسلام فی نظره شخص واحد، ولذلك نسب الی فیلسوف الاسلام فی لسان المیزان الکتب و العلوم المنسوبة فی ''الفهرست،، الی فیلسوف العرب، فهما اسمان ولقبان فی نظره لشخص واحد، و بذلك لم یلتبس علیه الامر بتلقیب المؤرخین الکندی بفیلسوف العرب تارة و فیلسوف الاسلام تارة أخری ـ ولعل السبب فی هذا التکرار من ابن حجر فی ترجمته یکون نسبته الی أبیه یعقوب فی بعض الکتب، و الی جده الصباح فی البعض الاخر، و لکن هذا لم یکن لیخفی علی ابن حجر أیضا حیث أنه راجع الفهرست وجاء فیه : یعقوب بن اسحاق . . الخ ـ،، (٢) وما قال الدکتور الأهوانی : ''و ذلك علی الرغم من أنه أورد اسمه واسم آبائه وأجداده کاملا ـ،، غیر صحیح، لأن ابن حجر ترك فی الترجمة الثانیة اسم أبیه اسحاق و نسبه الی جده الصباح، و یبدو أن تکرار ترجمته علی اساس تعدد ألقابه فحسب ـ

و الذی دعانا الی هذا الاسهاب الذی قد یعده بعض القراء تطویلا، هو تلك العاصفة الهوجاء التی أثارها بعض المبشرین من المستشرقین لیقلعوا بها نسبة الفلاسفة أو الفلسفة الی الاسلام، حتی یمحوا تلألؤ ذلك الامتیاز الموجود فی الاسلام الذی یدعو الی الفکر والبحث والنظر، فقد بذلوا جهودا جبارة فی نسبة الفلسفة التی ظهرت فی حضن الاسلام وتاسست علی مبادئه المتسامحة — الی العرب لا الی الاسلام ـ و الدکتور الأهوانی یتابعهم فی ذلك بمحاولته اثبات الاضطراب

---

(١) الفهرست، ص ٣٧١ ـ

(٢) الفهرست، ص ٣٧١ ـ

والتناقض فى آراء مؤرخى الحركة الاسلامية القدماء و المحدثين، و تلك محاولة فاشلة، لأن هذا الاضطراب غير موجود كما أثبتنا ذلك آنفا ـ

ونختتم هذه الكلمة عن نسب الكندى بما جاء فى جمهرة أنساب العرب عن بنى كندة ما نصه : ''و منهم الفيلسوف يعقوب بن اسحاق بن الصباح بن عمران بن اسماعيل بن الأشعث بن قيس، ولى أبوه الكوفة، وليعقوب أخ اسمه الصباح بن اسحاق هلك فى حياة أبيه ـ و كان اسحاق شاعرا مرجئا متكلما وله حديث ـ أسرت الأشعث فى الجاهلية بنو الحارث بن كعب فافتدى بثلاثة آلاف بعير و بنوه بالكوفة ـ

و اسحاق بن ابراهيم بن قيس بن حجر بن معدى كرب وفد أبوه الى النبى صلى الله عليه وسلم، وكان اسحاق هذا عالما بالنسب ـ و سيف بن قيس أخو الأشعث جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن قومه، فلم يزل يؤذنهم حتى مات ـ''(١)

و هكذا كان فى بنى كندة العلماء و صحابة الرسول والولاة ورجال السياسة ـ'' فكان منهم حجر بن بشر بن عفير — ولى الجزيرة و أرسينية و أذربيجان لسليمان ابن عبد الملك و كذلك غيره من كندة كان فيهم رجال السياسة و النفوذ فى العصر الأموى و العباسى ـ''(٢)

نشأته

كان الكندى طفلا حين وفاة أبيه كما سبق ذكره — فنشأ فى الكوفة مسقط رأسه — فى رعاية أمه التى بذلت قصارى جهودها فى تنشئته على حب

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى، ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ ـ

(٢) نفس المرجع، ص ٤٠٠ ـ

العلم والمعرفة، و ذلك بعد أن آنست منه ذكاء خارقا، و قريحة وقادة، وميلا متزايدا الى تعلم العلوم و اكتساب فنون المعرفة من معينها و مناهلها، فتلقى فى صباه مبادئ العلوم على أيدى شيوخ علموه القراءة والكتابة ودرسوه القرآن الكريم و علموه الدين ولقنوه مبادئه، وعلموه علم الكلام الذى كان أساس تفلسفه فيما بعد ـ

و بعد أن تعلم الكندى كثيرا من العلوم الرائجة فى عصره و بيئته — فى الكوفة و البصرة — قصد بغداد عاصمة العباسيين فى أيام مجدها وازدهارها وكانت بغداد آنذاك منارا للعلم ومأوى للعلماء والفضلاء ''فيها يجدون أمهات الكتب و نفائس المراجع متوفرة فى خزائن مدارسها و مساجدها وقصورها و بيوت جمهرة من علمائها، و أعيان رجالها، و فيها يلقون التشجيع على المضى فى شعاب العلم والنبوغ فى كثير من فروع المعرفة ـ فلا مراء فى أن ياخذ الكندى بعد انتقاله الى بغداد فى التوغل فى العلوم العقلية حين أقبل بنفسه على مدارسة ما انتهى اليه من كتب تتمثل فيها خلاصة تلك العلوم ـ''(١)

لم يذكر لنا المؤرخون أسماء أساتذته الذين لقنوه مبادئ العلم و نشأوه تنشئة علمية وغرسوا فيه مبادئ التفلسف و حب الحكمة حتى انصرف عن جاهه الموروث المنتقل عن آبائه — الى مدارسة العلوم و الانشغال بالفكر والنظر فى جو من الانعزال والانقطاع عن ضجيج المجتمع و مغامرات السياسة ـ و لكن تلك الكتب التى ترجمت من اللغات الأجنبية ''أو لخصت عن أمهات لغات العلم يومذاك ،فهى مستقاة من تآليف يونانية و سريانية و فارسية و هندية ـ ففى وسعنا

---

(١) يعقوب بن اسحاق الكندى، ص ٦، للأستاذ كوركيس عواد . ط . بغداد ـ

القول : أن مؤلفى تلك الكتب هم أساتذه الكندى الحقيقيون، و اليهم يرجع أعظم الفضل فى كيانه العلمى ـ،،(١)

و يذكر ابن نباتة المصرى : أنه بعد أن انتقل الى بغداد اشتغل أولا بالأدب ،،ثم بعلوم الفلسفة جميعها ، فاتقنها، وحل مشكلات كتب الأوائل و حذا حذو أرسطا طاليس، و صنف الكتب الجليلة الجمة، و كثرت فوائده و تلامذته، و كانت دولة المعتصم تتجمل به وبمصنفاته، وهى كثيرة جدا ـ،،(٢)

بينا سابقا أن الكندى كان من سلالة الملك وربيب بيت الأمراء ، فقد نشأ فى بيت اميرالكوفة، اذكان أبوه واليا على الكوفة ، فكان من الطبيعى أن يعيش عيشة الأمراء المترفين الأغنياء بفضل ما ورث عن أبيه من دور و أموال كثيرة، فعاش الكندى مرفها غنيا يجمع فى داره ما يجمعه أرباب الرفاهية والغنى من صنوف الحيوان العجيبة ـ فقد ذكر الجاحظ فى كتاب الحيوان أنه كان فى منزل أبى يوسف بن اسحاق الكندى هران ذكران يلاحظ فيهما شذوذ . . ونص عبارته : ،،وكان عند يعقوب بن الصباح الأشعثى هران ضخمان أحدهما يكوم الآخر متى أراده من غير اكراه، ومن غير أن يكون المسفود يريد من السافد مثل ما يريد منه السافد،، ، ،،و خبرنى صاحبنا هذا أن فى منزل أبى يوسف بن اسحاق الكندى هرين ذكرين عظيمين يكوم أحدهما الاخر، وذلك كثيرا ما يكون، و أن المنكوح لا يمانع الناكح، ولا يلتمس منه مثل الذى يبذله له ـ،،

---

(١) يعقوب بن اسحاق الكندى، ص ٧، للأستاذ كوركيس عواد ـ ط ـ بغداد ـ

(٢) سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون لابن نباة ص ١٢٣ ـ

وكان فى دار الكندى أسباب النعيم المادى الى جانب اسباب المتاع العقلى، يشهد له ما نقلناه من كتاب الحيوان ـ

وكان للكندى ضيعة بالبصرة كما أشرنا آنفا، وكانت له ببغداد دور يستغلها بالأجر كما يؤخذ من كتاب البخلاء للجاحظ ـ

''وكان الكندى بعد أن ترك الا شتغال بفنون الأدب، و ترك علم الكلام وانصرف بكليته الى علوم الفلسفة وما اليها، يعيش عيشة عزلة وانكباب على الدرس ـ''(١)

تبين لنا أن الكندى كان يعيش عيشة الأغنياء رغم أنه نشأ يتيما لوفاة أبيه اسحاق بن الصباح فى صغره، ''أما انقطاع الكندى وانزواؤه فقد يكون من عواقب النكبة التى أصابه بها المتوكل، ومما قاساه من الاضطهاد فى محنته ـ''(٢)

''وتدل ندرة الأخبار المتعلقة بظروف حياته على أنه كان أرستوقراطيا فى حياته و فى مجالسه وفى تفكيره، لا ينغمس فى العلاقات التى من شان بعضها أن تروى أحداثه ـ و يظهر أنه — فيما عدا صلته بالخلفاء أو بالقليلين من أقرانه المشتغلين بالفلسفة — كان مؤثرا للعزلة العلمية و الفلسفية، ليستعيض بها عن صخب الحياة و عن مجدها البراق بمجد الفكر ولذته، ولا نسمع أن له أسرة استرعت أنظار المؤرخين''، ولا نجد ذكرا الا لولد له يسمى محمدا كان حريصا على أن يوصيه بشئ ـ''(٣)

---

(١) فيلسوف العرب، ص ٣١ ـ

(٢) تاريخ فلاسفة الاسلام للأستاذ لطفى جمعة، ص ١١ ـ

(٣) مقدمة الرسائل للدكتور عبدالهادى أبو ريدة، ص ١٤ ـ

ومما يدل على اختياره العزلة بعض الوقت، ما روى ابن أبى اصيبعة من أشعاره فى طبقات الأطباء :

و ضائل سوادك و اقبض يديك وفى قعر بيتك فاستجلس
وعند مليكك فابغ العلو و بالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى فى قلوب الرجال و ان التعزز بالأنفس
وكائن ترى من أخى عسرة غنى و ذى ثروة مفلس
و من قائم شخصه ميت على أنه بعد لم يرمس
فان تطعم النفس ما تشتهى تقيك جميع الذى تحتسى(١)

تدل هذه الأبيات على أنه كان يحب الانعزال فى آخر حياته، وكان يفضل الابتعاد عما يشين كرامة الانسان الفاضل ، وكان يدعو الى التخلى عن طمع ما تجود به أيدى الأمراء على من يكسبون قربهم، فكان يدعو أى انسان فاضل الى الاستغناء بالنفس، لأن الغنى غنى النفس، واتخذ الكندى ذلك منهجا لحياته و عبر عنه فى هذه الأبيات ـ ومما اتضح لنا من هذه الأبيات هو أن الكندى كان يرى أن الغنى غنى النفس ـ كما جاء فى الحديث النبوى، وأن كثيرا من أصحاب الثروة ليسوا أغنياء لكثرة أطماعهم و حرصهم على المال، وهذا يبطل ما اتهم به من البخل والحرص على المال كما ذكر الجاحظ و ابن أبى أصيبعة فى وصيته لابنه محمد، وان كان القول لا يدل على العمل بمقتضاه، فقد كان أبو العتاهية يذم البخل ويدعو الى الزهد، وهو قائل هذا البيت :

العيش مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص ٣٠٩ -

و لكن رغم ذلك كان مشهورا بالبخل، وسيجئ الكلام فى ذلك فى موضعه ـ

مربنا أن الكندى كان ملقبا بفيلسوف الاسلام و فيلسوف العرب، وقد أسلم جده الأشعث — فكان مسلما من حين ولادته، ولكن البيهقى يكاد ينفرد بذكر الخلاف فى ملة الكندى، و ينقل قول البعض من أنه كان يهوديا ثم أسلم، والبعض الاخر أنه كان نصرانيا ـ(١)

وقد علق على هذه الرواية الدكتور عبد الهادى أبو ريدة بقوله : ''و فى هذا من العجب أننا نعلم من مصادر متعددة أن أول التقاء بيت الكندى بالاسلام كان فى شخص الأشعث بن قيس الذى قدم فى وفد من قومه على النبى صلى الله عليه وسلم فى العام العاشر من الهجرة ـ والشهزورى فى كتاب نزهة الأرواح يتابع البيهقى فى ذكر الخلاف فى ملة الكندى ـ''(٢)

ثم يذكر السمرقندى مثل البيهقى والشهزورى حكاية وهمية يقول فيها مايلى : ''كان يعقوب بن اسحاق الكندى يهوديا، ولكنه كان فيلسوف زمانه و حكيم عصره، وكان مقربا عند المامون، وقد دخل عليه يوما فاتخذ لنفسه مجلسا أعلى من مجلس أحد الأئمة، فقال هذا : انك رجل ذمى، فكيف تتخذ مكانا أعلى من مكان أئمة الاسلام ؟ فأجاب يعقوب : لأنى أعلم ماتعلم، وأنت تجهل ما أعلم ـ''(٣)

وفيما روى فى نصرانيته، يذكر صاحب اكتفاء القنوع ما يلى : ''كان فى أيام الخليفة العباسى المأمون بن الرشيد، عالم نبيل من أقاربه، وهو عبدالله بن

---

(١) تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقى، ص ٤١ ـ

(٢) مقدمة الرسائل، ص ٢ ـ

(٣) جهار مقالة للسمرقندى ، ص ٦٣ وانظر كتاب الكندى للأستاذ كاظم الطريحى، ص ٥٣ ـ

اسماعيل الهاشمى، له الاطلاع الواسع، والبحث المدقق فى الاديان، و كان صديقا للكندى الذى اشتهر بحب النصرانية، والتمسك بها يحاكى تمسك الهاشمى بالاسلام وشدة اغراقه فيه، فكتب الهاشمى للكندى رسالة بليغة فى محاسن دينه، و كتابا دعاه فيها الى الاسلام، فرد عليه الكندى النصرانى رسالة أظهر فيها وجوه صحة النصرانية بالأدلة القوية، طبعت الرسالتان معا سنة ١٨٨٨م فى ١٨٠ صحيفة، و هما بليغتا العبارة، قويتا الحجة، عظيمتا الفائدة فى هذا الباب ـ،،(١)

و يعلق الأستاذ الطريحى على هذه العبارة فيقول : ''وعند رجوعى الى الرسالة وجدت أنها تنسب الى عبد المسيح بن اسحاق الكندى ـ،،(٢)

وليس لدينا فى مؤلفات الكندى ما يؤيد هذه الروايات الشاذة فى بيان ملته، بل ان مؤلفاته تؤكد بانه كان مسلما شديد الغيرة على الاسلام، وكان يدافع عن مبادئه وأصوله بالفلسفة مثل معاصريه من المعتزلة، ولأجل هذه الغاية كان يوجب التفلسف كما سنذكر ذلك فى موضعه، وقد مرت بنا الروايات التى تتسم بالصحة والدقة تؤيد نشاته الاسلامية ـ و من المعروف أن الكندى قد ولد فى بيت أمير الكوفة فى آخر أيام الرشيد، ولا يعقل أن يكون والى الكوفة فى عصر الرشيد يهوديا أو نصرانيا، ثم ان اقترابه الى الخلفاء المسلمين ومكانته لدى العباسيين يؤكد أيضا أنه كان من أجلة علماء الاسلام ـ ولذلك نرى صورة الدس فى بعض من هذه الروايات الموهومة واضحة كما أن صورة الخلط و التوهم ماثلة فى بعض آخر، فقد كان فى بنى كندة يهود ونصارى، فكلما ذكر أحدهم فى كتب التاريخ

---

(١) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع تأليف ادورد فنديك، ص ١٨٢ - ١٨٣ -

(٢) الكندى فيلسوف العرب الأول، ص ٥٤ لمحمد كاظم الطريحى ـ

باسم الكندى أريد به لدى بعض السطحيين فيلسوف الاسلام ـ ويذكر لنا ابن حزم أنه اتهم بالتشكيك فى القرآن الكريم، وأنه حاول أن يجئ بمثله، وسنذكر نص هذه الرواية فيما بعد ـ ولكننا نجد فى آثار الكندى ما يوضح لنا مدى ايمانه باعجاز القرآن، ومدى حبه لنبى الاسلام، وسنذكر تفسيره لقوله تعالى : ''قال من يحى العظام وهى رميم . . الخ،، فى فصل البعث بعد الموت، وسنوضح فيه مدى ايمانه بقوة براهين القرآن الكريم ـ وقد اتهم الكندى بالالحاد أيضا، لأنه كان يذهب فى نسب يونان أنه أخ لقحطان — حسب ما جاء فى بعض الروايات — وسنذكر هذه الرواية مع رد أبى العباس الناشئ عليه فى قصيدة طويلة، ولسنا فى حاجة الى الطول فى تكذيب هذه الاتهامات ، لأن مصنفات الكندى وحدها تكفى لدحض جميع هذه الاتهامات، وتثبت اثباتا قاطعا أن الكندى كان مسلما غيورا على دينه من أول نشأته، الا أن عقيدته الاسلامية هى موضع البحث لكى يتضح لنا انتماؤه الى أية طائفة من الطوائف المسلمة فى عصره ـ

٩٩٩٩